المحاضرة 15 : النضال التونسي بين العمل الداخلي والنشاط الدبلوماسي (1946-1952)

عرف النضال التونسي تصعيدا بعد الحرب العالمية الثانية على الجبهتين الداخلية والخارجية حيث عرفت هذه المرحلة تسارع الأحداث بفتح آفاق جديدة كانت بداياتها تحالف أطياف الحركة الوطنية التونسية وتوافقها حول المطالب في أول لقاء تاريخي بعد الحرب العالمية الثانية، وتدعيم نشاطها دبلوماسا عبر ممثليها في الخارج للتعريف بالقضية التونسية.

أولا-انعقاد مؤتمر ليلة القدر: انعقد بتونس في 23 أوت 1946 – الموافق ل26 من رمضان 1356– **مؤتمر ليلة القدر–** بحضور حوالي 300 شخص من ممثلي الأحزاب الوطنية ومختلف التنظيمات السياسية والإجتماعية والنقابات العمالية والزراعية ونقابات الموظفين وكذا الإتحاد العام للشغل التونسي بزعامة فرحات حشاد، وقد ترأس المؤتمر العروسي الحداد رئيس الدائرة الجنائية بمحكمة الوزارة، وبعد أن درس الحاضرون حالة البلاد السياسية واستماعهم لمختلف الخطباء وافق المؤتمرون بالإجماع على ميثاق وطني أعلنوا فيه :

-بطلان الحماية الفرنسية على تونس باعتبار تونس كانت قبل 1881 دولة ذات سيادة مرتبطة بالخلافة العثمانية برابطة روحية أكثر منها سياسية وفق المعاهدات العديدة التي أبرمت مع الدول الأجنبية، وحيث أنّ الحماية قد استحالت بعد مضي خمس وستين سنة إلى نظام استغلالي استعماري لا يتفق مطلقا مع مصالح الشعب التونسي المعنوية ولا مع حقه في التمتع بالسيادة[1]. -المطالبة بالإستقلال التام والإنضمام إلى الجامعة العربية، رجوع منصف باي وإطلاق سراح المساجين التونسيين، -استرجاع الأراضي من المعمرين ومنحها لصغار الفلاحين.—الإعتراف باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد وكلغة التعليم.- انتخاب مجلس وطني تونسي تأسيسي يتمتع بسيادة تامة[2].

وأثناء إلقاء صالح بن يوسف للكلمة اقتحمت القوات الفرنسية مكان الإجتماع فتوجه بن صالح إلى الجمهور الحاضرين بقوله: " هل أنتم موافقون على إعلان استقلال تونس" وأجابوا بصوت واحد: " الإستقلال الإستقلال"، وتم اعتقال خمسين شخصا من الحاضرين[3]، وقد أعقب المؤتمر تنظيم إضراب عام دام ثلاثة أيام،واحتجاجات رفع فيها شعار الإستقلال، وسعيا وراء تهدئة الأوضاع قام المقيم العام **ماسط** بالإفراج عن الموقوفين، وإعلانه عن إصلاحات في 21 نوفمبر 1946 أمام المجلس الكبير.

وفي 16 جانفي 1947قامت الحكومة الفرنسية بتعيين (جان مونس) مقيما عاما جديدا وتكليفه بتطبيق الإصلاحات المعلنة من طرف **ماسط** والمتضمنة:-إلغاء الرقابة على الصحافة واستئناف الإتصال بالدستوريين – زيادة عدد الوزراء التونسيين إلى 06 وزراء بدل أربعة ومنح الوزير الأكبر صلاحيات واسعة، وكانت هذه

[1] . عن لا ئحة المؤتمر بالتفصيل ينظر: درمونة، تونس بين الإتجاهات، ص 168.

[2] . مأساة عرش، المصدر السابق، ص220.

[3] . يذكر الحبيب ثامر أربعين شخصا : الحبيب ثامر، هذه تونس،ص 106.

الإصلاحات صورية لا ترقى إلى المطالب الجوهرية التي كانت تنشدها الفئات الوطنية والجماهيرية، وتم رفضها وأعلن التونسيون احتجاجاتهم ضدها.

وتزايد النشاط الجمعوي من طرف جمعية قدماء المعهد الصادقي منها الإحتفال بالمولد النبوي في فيفري 1947، واجتماع رياضي وتخصيص مداخليه لإعانة الطلبة التونسيين، ونشاط الجمعية الخلدونية التي أصبحت تنشط محاضرات سياسية من طرف الفاضل بن عاشور والشاذلي بلقاضي في جانفي 1947 تم تنظيم محاضرة حول شكيب أرسلان، وتعدد التظاهرات الثقافية المشارك فيها من طرف الجمعيات التونسية مثل الإحتفال بالعيد العالمي للشباب الديمقراطي يوم 21 فيفري 1949، ومؤتمر الثقافة الإسلامية المنظم من طرف الجمعية الخلدونية برئاسة الفاضل بن عاشور بتونس يوم 10 سبتمبر1949[1].

وبتاريخ 19 جويلية 1947 تم تعيين مصطفى الكعاك في منصب وزير أكبر وكلف بتشكيل الحكومة الجديدة، ولكن الإصلاحات قوبلت برفض من طرف المعمرين وفشل الأمين باي الذي لم يلقى قبولا من طرف التونسيين، وتصاعدت حملات للمطالبة بإرجاع منصف باي إلى تونس حتى بعد وفاته حيث أقيمت له جنازة مهيبة في 06سبتمبر 1948 لم تقام لأي رجل دولة تونسي من قبل[2].

ثانيا–الكفاح الخارجي – دعاية ودبلوماسية: عرف النضال التونسي على الجبهة الخارجية نشاطا مكثفا عن طريق الوفود والشخصيات الدبلوماسية للتعريف بالقضية التونسية في المنابر الدولية والإقليمية، ويمكن إبراز هذا الكفاح وفق مايلي:

– اقتناع الهيئات التونسية بتولي الجامعة العربية الدفاع عن تونس ضمن القضايا العربية لدى الأمم المتحدة بعد التحاق الحبيب بورقيبة بالحبيب ثامر في مارس 1945 والقيام بنشاط دعائي في مصر وتأسيس مكتب للدعاية لقضية تونس في القاهرة تحت اسم "مكتب الحزب الدستوري التونسي الحر"، وإصدار النشريات منها نشرية دورية باللغة العربية تتناول أخبار تونس[3]، لكن هذا النشاط توقف نجاحه على مدى التنسيق بين قيادة الداخل في تونس والممثلين بمصر باعتبار أن ذلك كان صعبا من أجل توحيد المواقف في الضغط على فرنسا داخليا، باعتبار أن الأحداث الداخلية والفرنسية كان لها تأثير على تونس مع لجوء فرنسا إلى القوة في التعامل مع أحداث زر مدين في جوان 1946، ومع ذلك فقد عرف النشاط الخارجي قفزة نوعية أمام تشكل لجنة "تحرير المغرب العربي" برئاسة عبد الكريم الخطابي في أواخر 1947، والتي تولى أمانتها العامة الحبيب بورقيبة ومكاتب أخرى ببغداد ودمشق وكانت بجانب المكتب مكاتب كل من حركة الجزائر وحركة مراكش، كما سعت الحركات التحررية إلى تحقيق هدف واحد والمتمثل في التخلص من الإستعمار، حيث تمّ عقد مؤتمر في 17 فبراير 1947 والذي تضمن قرارات أهمها

---

[1]. البكوش، المرجع السابق، ص 180.

[2] . القصاب، المرجع السابق،ص 605.

[3] . الحبيب ثامر، هذه تونس، ص 110.

استقلال أقطار المغرب ووحدتها وجلاء القوات الأجنبية عنها ورفض مشروع الإتحاد الفرنسي، والإنضمام إلى الجامعة العربية تمهيدا للوحدة العربية الكاملة وتوحيد المكاتب تحت اسم مكتب المغرب العربي[1].

-انتقال الحبيب بورقيبة إلى نيويورك في ديسمبر 1945 والقيام باتصالات مع المسؤولين الأمريكيين والوفود الأجنبية بالأمم المتحدة للتعريف بالقضية التونسية بعد حصوله على تفويض من منصف باي بمنفاه في "بو pau" بفرنسا للتكلم باسمه وباسم التونسيين،رغم أنّ الأمم المتحدة لم تنظر إلى القضية التونسية ولم تدرجها في جدول أعمالها سنة 1947 إلا أنّها حظيت بعطف وتأييد الكثير من الفئات في المنطقة،كما اتصل الحبيب بورقيبة بعدد من الشخصيات من ممثلي الدول العربية، وسعى لتعزيز الصلة بين حزب "مصر الفتاة" وحزب الوفد المصري.

- قيام فرحات حشاد زعيم المنظمة العمالية (الإتحاد العام للشغل) بنشاط تعريفي بالعمل النقابي التونسي من خلال محاضرة ألقاها بمقر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا يوم 20 ديسمبر 1946، مبرزا دور الإتحاد العام التونسي للشغل في النضال،كما ساهم في المؤتمرات العالمية الدولية للتعريف بالقضية الوطنية، وشارك معه ضمن الوفد التونسي الحبيب بورقيبة في مؤتمرين منها المؤتمر النقابي للإتحاد العالمي بميلانو في أوائل جويلية 1949 وفي سبتمبر 1951، ثمّ في مؤتمر المركزية النقابية الأمريكية بسان فرانسيسكو،حيث كان هناك تنسيق بين بورقيبة وحشاد في تعريف الصحافة الأمريكية والرأي العام بتطلع الشعب التونسي إلى الإستقلال[2]،بإضافة إلى انتقاد فرحات حشاد للحزب الشيوعي بعد تنسيقه مع القيادة الدستورية، وتأييد الإتحاد العام للفلاحة التونسي إضراب طلبة الزيتونة اللانهائي عن الدروس في ربيع 1950، وهنا بدأ بيرز التنسيق بين الإتحادات العمالية والطلبة لنداء الحزب الدستوري الجديد أثناء الإضراب الذي نظم يوم 10 مارس1951 تضامنا مع المغرب الأقصى[3].

- بعث الحزب الدستوري لشعب دستورية في أماكن تواجد الجالية التونسية وخصوصا باريس معتمدين على الطلبة المتواجدين في المعاهد الفرنسية، وقيام الحبيب بورقيبة بحملة دعائية بدول عديدة من العالم سنة 1951 بالهند باكستان،وبعض الدول الأوروبية مثل السويد وانجلترا،برفقة فرحات حشاد لضمان مساعدة وتأييد دولي.

وتمّ الضغط على الحكومة الفرنسية من طرف الوزيرين التونسيين لعرض القضية التونسية على مجلس الأمن معتمدة في ذلك على البند الخامس والثلاثين للميثاق، وقدم الوزيرين التونسيين رسالة إلى السكريتير العام للأمم المتحدة موقعا عليها من أعضاء الحكومة التونسية،بناءا على المذكرة المقدمة إلى الحكومة الفرنسية بتاريخ 31 أكتوبر 1951 الموضحة لطريقة الحكم الذاتي، وقد رفض **تريجفي لي** الأمين العام للأمم المتحدة مقابلة الوزيرين التونسيين، وبعد اجتماع من طرف مندوبو الدول الآسيوية والعربية في 22-02- 1952 عرض القضية التونسية

---

[1]. خليفة الشاطر وآخرون،المرجع السابق،ص 145؛ الحبيب ثامر، المصدر السابق،ص111.

[2] . الدقي، تونس من الأيالة إلى الجمهورية،ص 181.

[3]. Boudali, op-cit,p 323 .

على مجلس الأمن، ورغم ذلك فقد تم رفض القضية في اجتماع مجلس الأمن في 10 أفريل 1952 لعدم توفر العدد الكافي من الأصوات لمناقشتها[1].

ساهم النضال السياسي على الجبهتين الداخلية والخارجية من طرف الدستوريين وكذا الجمعيات في تدعيم الساحة السياسة والضغط على السلطة الفرنسية في التعامل مع مطالب الدستوريين بجديّة خاصة وأنّ النضال السياسي اكتسب دعما داخليا بانضمام فئات كبرى للكفاح، والتعريف بالقضية التونسية خارجيا وفي المنابر الدولية والإقليمية.